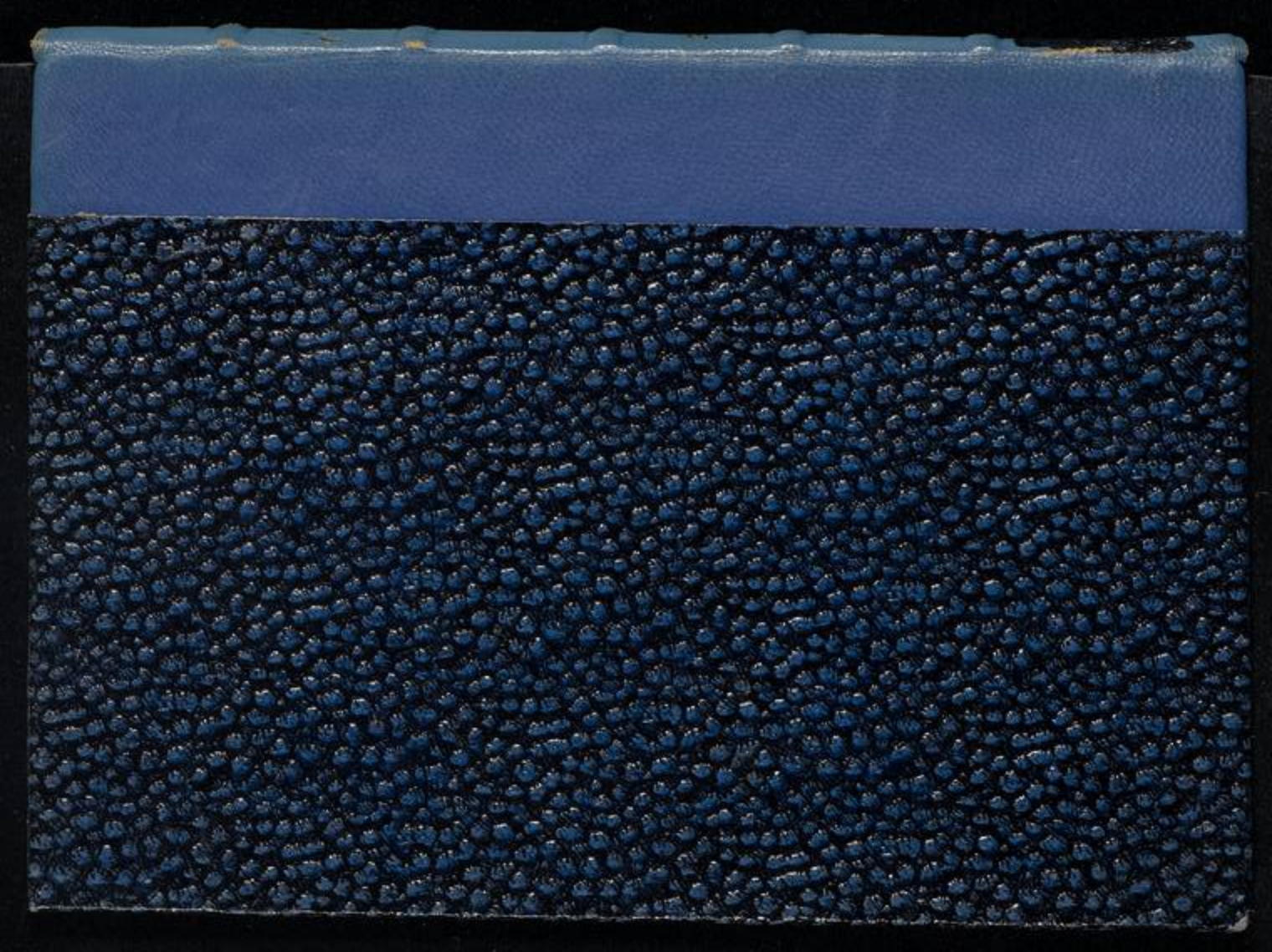

2274
.1855
.331

2274.1855.331
Rabi
Du'a umm

| DATE ISSUED | DATE DUE | DATE ISSUED | DATE DUE |
| --- | --- | --- | --- |
| | | | |
| | | | |
| | | | |
| | | | |
| | | | |
| | | | |
| | | | |
| | | | |
| | | | |

Princeton University Library
32101 074493444

VAR - 6077. Rabī',

# دعاء أم

مجموعة قصص أدبية

مواهب صدقي ربيع

Rabi', Mawāhib Ṣidqī

# دعاء أم

## وقصص أخرى

Du'ā' umm

حقوق الطبع محفوظة المؤلفة

تأليف

مواهب صدقي ربيع

2274
.1855
331

# جريدة الجمهورية تقول :ـ

## مواهب أصغر قصصية في العالم العربي

انها مواهب ربيع طالبة بالسنة الأولى بكلية الهندسة وعمرها في هذه اللحظة ستة عشر عاما وستة شهور ولها في دنيا الأدب مجموعة قصصية أصدرتها في العام الماضي بعنوان « ابنة القدر ».

ونقرأ المقدمة التي كتبتها مواهب لأول عمل أدبي لها لنجد هذه السطور التي تشعر بالبراءة والصدق . تقرأ مواهب وهي تخاطب القارئ قائلة .. أرجو أن يغفر لي الكبار ثقة بتجاربي .. نعم انها تجارب ضئيلة يمكن أن تمر بفتاة لم تتجاوز السادسة عشرة من عمرها ولكنها تجارب تمكنني من أن أعبر عما أريد .. وتمكن القارئ من أن يفهم ماأكتب .. ان هذه القصص تتناول الكبار .. ولكنها تتناولهم بمفاهيمنا نحن الصغار

وسوف تحس بالسعادة وأنت تقرأ ختام المقدمة ومواهب تقول

« ان الفضل الأول والأخير في اخراج هذه المحاولة الى عالم الوجود انما يعود الى أبي وأمي وأساتذتي ».

وأصغر قصصية في العالم العربي تهوى الأدب منذ طفولتها .. وقد كانت تصوغ كل فكرة في قصة .. في سطور قليلة تسكب فيها حواسها وانفعالاتها .. ومنذ أعوام قليلة اكتملت لديها أول مجموعة قصصية وظلت تجمع القروش من مصروفها ويوم أن اكتملت لديها قيمة نشر المجموعة أسرعت الى المطبعة وأصدرتها على حسابها .

ان مواهب تنتظر اللحظة التي تكتمل فيها نقودها وتجربتها لتخرج أعمالا جديدة تثبت أصالتها الأدبية .. لقد ذهبت منذ أيام الى كلية الهندسة لتواصل دراستها وفي نفس الوقت تستعد لاصدار مجموعتها القصصية الثانية « دعاء أم ».

ومواهب قدمت في اذاعة الاسكندرية عددا من القصص بعد أن اكتشفها جمال بركات في برنامج « نادي المستمعين ».

11-29-65 PL 480

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقـــدمة

إنى فخورة بكتابة هذه القصص . . .

وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يكون قد وفقنى فى نقلها من واقع تجاربى القليلة التى اكتسبتها - والظاهرات التى شاهدتها سواء أكان ذلك فى محيط الأسرة أو الشارع أو المجتمع .

وبعد — فان كانت هذه المحاولة هى الثانية . . . فانى أرجو ألا تكون الأخيرة . . . وإننى فى سبيل إصدار مجموعة ثالثة من هذه القصص بمشيئة الله .

والله ولى التوفيق ؟

مواهب صدقى ربيع

# دعاء أم

إنطلق مدفع الإفطار يؤذن بالغروب ، واجتمت الأسرة حول المائدة ، حتى أم حسن المربية كانت فى تعدادها . لأن كريمة هانم حافظت على عادة زوجها المرحوم عبد المحسن فى عدم التفرقة بين بنى البشر وخاصة فى رمضان .

وانتهت الأسرة من طعامها ، وتهيأ كل فرد لصلاة المغرب حسب العادة التى ورثتها عن عائلها رب الأسرة الراحل ، وبعد الصلاة جلست كريمة هانم إلى المذياع تستمع إلى كتاب الله الكريم ، وكان المرتل يتلو قوله تعالى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾
إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ
ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ
رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ
ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ
مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا
نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾

وما كاد القارىء ينتهى من تلاوته حتى امتلأت عينى كريمه هانم بالدموع ، وأسبلت جفنيها فى شبه استرخاء ، وأخذت الذكريات تطوف برأسها ، وتتجسم أمام مخيلتها واحدة تلو الأخرى ...

لقد كان هذا المنزل يموج دائماً بالزائرين فى مثل هذا الشهر المبارك ، ولم يكن دبيب الحياة يهدأ لحظة واحدة خلاله . كان ولداها يجلسان فى حجرة أبيهما وبجوارهما اخواتهما الأربعة . وكانت نظرة واحدة منها إلى هذه الأسرة السعيدة تملأ عينيها بالفخر والرضى طوال العمر ، ووجه زوجها الذى لا تنضب الابتسامة من عليه أبداً .. وجه بشوش تعلوه الفرحة دائماً ، وشعور لرضى يفيض من كل أعماقه ويتجلى فى كل تصرف يقوم به . إذ كان رجل ريفى طبع على الكرم وحب الخير .

كانت كريمة هانم فى أوج شبابها ، وكانت تفيض حيوية وحياة ، وكان جمالها مضرب الأمثال ... واعتدلت

كريمة هانم فى جلستها وتحسست بيدها وجهها فاذا بها تلامس خصلة حريرية من شعرها منسدلة على عينيها ، فنظرت اليها فاذا بها تجد صبغة قسوة الزمن البيضاء قد علتها ، فتنهدت وحمدت الله على كل حال . ثم قفزت بها الذاكرة بسرعة فقد تزوجت بناتها واختار ابنها الاكبر شريكة حياته ، أما ابنها الاصغر فقد اختاره الله إلى جواره فى حادث أليم كلما تذكرته قالت قولتها .

إنا لله وإنا إليه راجعون — والله لا أنساك حتى ألقاك .

ومرت الاحداث برأس كريمة هانم بعد ان القت نظرة إلى الشجرة الكبيرة المظللة نافذة حجرة المائدة . لقد كانت هذه الشجرة المكان المفضل لولدها الصغير خالد وأخته الثالثة سناء . وكان أحب انسان لديها كما كانت هى أحب انسان عنده . وكانت الشجرة ملتقاها كلما أشرقت الشمس وأقبل الاصيل . وكان خالد وسناء متقاربين فى الشبه والطول ولكن الفارق بينهما هو ترتيب المولد .. فان بين

سناء وخالد بنتا رابعة هى عليه .

ولانت نظرات كريمه هائم عند ما مر الخاطر بذكر ثناء وخالد ، وشعرت بقبضة حزن خفية تعتصر قلبها ، وحامت حول عينها سحابة قاتمة من الحزن ... لقد مات خالد بعد زواج أخته الكبرى هناء وأخته الثانية وفاء فكانت سلوى كل منهما ما أنجبت من أطفال فلم يظهر عليها من الحزن ما يشغلها ... كما وأن عليـة كانت فى شـغل بخطيبها الجديد فخفف عنها الصدمة . أما سناء فقـــد كانت حديثة عهد بزواجها فكانت الصدمة قوية عليها لأنها فقدت أخاها الذى كان دائما يطل عليها بمنزلها ويقضى معها الساعات الطوال فى عشها الجديد .

ومرت الاعوام ، وانجبت كل فتاة طفلين أو أطفالا إلا سناء فقد عقمت ولم تلد . فماذا اصابها ؟ أهى الصدمة لموت خالد أم هى ارادة الله ؟ هل الفجيعة بلغت بها مبلغها حتى أثرت فيها إلى هذا الحد ؟ أم هو اختبار من الله

سبحانه وتعالى ؟ أسئلة مرت سريعة بفكر كريمة هانم . . ولكن الإيمان الذى ملأ قلبها وفكرها ذكرها بما سمعته الساعة « ربى هب لى من لدنك وليا » فنظرت إلى السماء وقالت : يارب إنى أسألك بحق شفاعة رسولك محمد صلى الله عليه وسلم أن تهب سناء خلفا صالحا وتهبنى منك حجة وزيارة لقبر رسول الله .. وإن تكرمت على فاجعلنى من جيران رسولك فى مماتى بعد زيارتى له . يارب أنت تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ، إنك انت علام الغيوب وختمت كريمة هانم دعاءها بعد أن اغرورقت عيناها بالدموع فقامت وتهيأت لصلاة العشاء والتراويح ونامت فى أمان الله ورعايته ، ولم تستيقظ إلا فى السحور لتتناول وجبة خفيفة وتنام ثانية بعد صلاة الفجر .

وانبلج الصبح ، وحضر اليها ولدها الاكبر وحيد — وكأن الله أراد له ان يكون وحيداً فى كل شىء ، حتى فى أحلامه الصادقة — يحمل اليها نبأ حلمه الذى رآها فيه

وهى تستعد لحج بيت الله الحرام ، ونظرت الأم لوحيدها وهى تقول :

– نعم ياولدى إنها أمنيتى ، وكذلك أمنيتى الثانية التى ارجو تحقيقها . .

وقبل ان تكمل الأم حديثها طرق الباب مجموعة من الناس تبينتهم بعد الدخول فاذا هم بناتها الأربع واولادهن كل منهن جاءت لزيارة أمها قبل العيد بصحبة زوجها وأطفالها وكل منهن تحمل او تجر وراءها طفلها إلا سناء فانها خالية من زينة الحياة الدنيا . . البنين .

ودخل الكل حجرة الجلوس ، وفرحت الأم ببناتها وولدها . ولكن سرورها فى واد ، وعقلها بواد آخر . . إن نظرات سناء لأولاد اخوتها كان يزيد من حزن الأم. فخرجت كريمة هانم من الصالون وتوجهت إلى مصـــلاها وصلت ركعتين لله ثم دعت دعاءها الذى كان ينصت اليه وحيد من مكان خفى، فأسرع واستدعى سناء ، وجعل الاثنان يستمعان

للدعاء الحبيب إلى نفسيهما وعيناهما مغرورقة بالدموع .

ومرت الأيام وجاء موسم الحج وتقدمت كريمة هانم بطلبها الذى لم يستغرق وقتا طويلا حتى أجيب . وتهيأت للحج، وسار بها الموكب من المنزل إلى القطار ، ثم من القطار إلى الباخرة لتركب مع الحجاج ، وهناك فى الباخرة تحت ستار الليل ورهبته التى التقت برهبة الموج ، والناس تدعو وتطلب النجاة وسلامة الوصول ، والظلام والموج والريح يحملان السفينة فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج إنسان يده لم يكد يراها . وسط هذا كله وقفت كريمة هانم تدعو لابنتها سناء بالخلف الصالح حتى لا تقل عن إخوتها فى زينة الحياة الدنيا .

ووصلت السفينة إلى جده ـ وفى ميناء جده نزلت هى ومن معها وتوجهوا إلى مكة المكرمة حيث فرائض الحج ومناسكه وحيث الوقوف بين الصفا والمروة ثم الوقوف بعرفة ... ويوم عرفة كان ما كان ... إنه يوم الموقف ... إنه يوم الحج

الأكبر .. إنه يوم الدعاء إلى الله .. إنه يوم طلب الحاجات .. إنه يوم عرفات ...

وقفت كريمه هانم فى ملابس الإحرام وتوجهت إلى ربها تدعوه بقلب خالص وتقول :

- يارب طلبت منك الحج فيسرته لى . وطلبت منك القدرة عليه فهيأت لى كل خير. يارب هب لى القدرة على زيارة رسولك واجعلنى ممن يجاورونه حتى البعث والنشور . يارب أنت المعطى الوهاب ، وهبت لزكريا يحيي ، ولإبراهيم اسحق ويعقوب ، ولمريم عيسى ، وكلا جعلتهم صالحين ، فيارب هب لإبنتى سناء الخلف الصالح والذرية الطيبة ، إنك سميع الدعاء ، يارب إنك عالم بما أقول وأنت القائل : ادعونى أستجب لكم ، وقد دعوتك فأرجو منك الإجابة لطلبى .

وأطالت كريمة هانم دعاءها ورددته مراراً .

وسارت كريمة هانم إلى مقرها منهوكة القوى ضعيفة الخطا من شدة القيظ والحر وباتت أيامها الثلاثة ، ثم بعد ذلك انطلقت

إلى المدينة لزيارة قبر رسول الله ، وهناك بعد الزيارة فاجأها المرض ولم يمهلها كثيراً فلقيت ربها راضية مرضية بجوار رسول الله . ودفنت هناك بالمدينة مع الصديقين والابرار .

وفى الصباح حمل البرق إشارة لولدها تخبره فيها بوفاة أمه بالاراضى المقدسة ، وسار بها إلى إخوته وأخبرهم بدعاء أمه . وجلسوا جميعا يبكونها بحرقة بالغة .

ومرت الايام وسناء تقول :

يارب ... لقد حققت دعاء أمى فى موتها بالحجاز ، فأيد دعاءها من أجلى ...

ولم يكد ينقضى العام على وفاتها حتى ظهرت بوادر الحمل على سناء ، فكثرت الاقاويل ، فمن قائل انها حين فجعت فى خالد لم تحمل وحين فجعت فى أمها حملت ...

ومرت الشهور التسعة ، وفى « مستشفى الشبراويشى » وضعت سناء توأمين ذكرين ... وقالت للجالسين حولها حين دار الحديث عن سبب الحمل :

ـ والله ليست الفجيعـــة فى أخى ولا فى أمى ... ولكنه دعاء أمى الذى استجاب الله له فجاورت أكرم نبى ورسول ، وإنى لأعمل بوصيتها فقد بشرتنى وأوصتنى بأنى سألد ولدين وسأسمى أحدهما « محمداً » والآخر « خالداً » .

وذهب وحيـد إلى أخته لزيارتها ، وتذكرا دعاء أمها فقال وحيد :

ـ يا سناء أنت فى سعادة برضا أمك عليك . يا سناء إن الجنة تحت أقدام الأمهات .

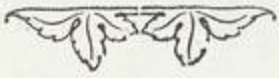

كم كان العجب يتملك سكان هذا الحى ، حى العطارين ، عند ما يبصرون حسن عبد الرحمن ، وهو عائد من عمله ، ورأسه منحنية الى الامام ، وطربوشه يكاد يسقط من فوق رأسه وعيناه تلمعان ببريق غريب ، وتتحركان بمنة ويسرة ، بحركة خبيثة سريعة ، كأنها تريدان أن تستشفا كل ما يطويه ذلك الحى ، من خبايا وأسرار . كان منظر هذا الرجل يبعث على العجب ، وحب الاستطلاع فى آن واحد — فرغماً من انه كان موظفا بالدرجة الرابعة ، ممتازاً ، طيبا ، إلا أنه لم يكن يخشى فى حياته شيئا أكثر من كلام الناس ، خاصة وان له أربع بنات كبراهن بكلية الطب ، ولم يكن له إلا ولد واحد هو آخر العنقود .

لذا كان يخيل إليه إينما سار انه لا بد وأن احداً يتحدث عنه، أو عن غيره من السكان فيحاول جاهداً ان يسمع ما يقال من انتقادات ليتجنب ما وقع فيه غيره من أخطاء .

وبلغ به الأمر أن أمر زوجته بأن تغلق دائما نوافذ المنزل ، وبأن تلتزم الحشمة هى وبناته بقدر المستطاع ، وان ينس فلن ينس ذلك اليوم الذى قدم فيه من عمله فوجد زوجته تطل من شرفة المنزل ، فاندفع كالعاصفة إلى داخل بيته وما ان رأى زوجته حتى صاح :

ـ ألم اقل لك آلاف المرات انى لا أريد فتح النوافذ بالمرة ؟

ـ والله يا سيد حسن انت اتأخرت فقلقت وانتظرتك بالشرفة .

ـ لا ياعائشة ـ ألا تعرفين حدة لسان جارتك « أم سونة » صفارة الحى ؟

ـ نعم اعرف ذلك جيداً ـ هذه المرأة لم تترك أحداً إلا وسلطت عليه لسانها ـ انها امرأة لا يقدر عليها إلا الله .

ـ يا أم حماده ، انا عندى بنات ـ وانت تعرفين كلام الناس ، وكل شيء ينقص إلا كلام الناس فانه يزيد .

وهكذا كانت تمر الأيام بحسن عبد الرحمن ، فرغماً من ان علاقته كانت طيبة بجيرانه إلا انه كان دائما يخشى كلامهم خاصة « أم سونه » التى كانوا يلقبونها بصفارة ـ لأنها كانت تطلق الاخبار والاشاعات كالصفارة فهي تعتقد أنها ملمة بكل امور الحى ، صغيرها وكبيرها ، وبأنه لا يخفى عليها خافيه ، وأنها تفهم فى الحشمة والوقار والبخل والكرم . . . وكل شيء ، وكان اهل الحى يخشون لسانها السليط وقولها اللاذع فيتجنبونها ، ولكنها لم تكن تعدم أبداً من يمدها بالأخبار .

وكم انتاب القلق حسن عبد الرحمن لدخول كبرى بناته كلية الطب ، إذ كانت دراستها تنتهى دائما فى المساء ، فكان ينتظرها على المقهى المجاور لمحطة الترام لاصطحابها إلى المنزل خوفا من أن تلمحها صفارة عائدة بمفردها إلى بيتها فى المساء .

وأراد حسن ان يكون كلام الناس فى صالحه ـــ فاذا

ما اشترى بطيختين أو بعض الفاكهة أو الخضروات أو غيرها اصطحب صبي الحلاق ليحمل له ما اشتراه ، وعند باب المنزل ينادي بأعلا صوته على خادمته مبروكة لكي تهبط وتحمل ما اشتراه، وكان يبغي من ذلك أن يرى الجيران - وخاصة صفارة - ما يحمله لمنزله من خيرات .

وكم نصح زوجته بأن تتجنب زيارة الجيران - خاصة صفارة - ولكن صفارة لم يكن يعنيها هذا ، إذ كانت زيارتها محتمة لكل المنازل لإستقصاء الاخبار ، واطلاق الاشاعات ، وقد كثرت زياراتها لأم حمادة ، بعد ان التحقت ابنتها كريمة بكلية الطب ، اذ كانت دائما تناديها بالدكتورة وتطلب منها الكشف عليها أو التوصية بها خيراً باحدى المستشفيات .

يحدث كل هذا وحسن يعيش في صومعته خاشياً كلام الناس - أليست بناته على أبواب الزواج ؟

وذات يوم حضرت صفارة كعادتها لزيارتهم ، واستغرقت كعادتها في الحديث عن مصائب أهل الحي وافراحهم واتراحهم ولم تنس قبل مغادرتها المنزل ان تذكرهم بقرب حلول عيد

الأضحى المبارك فطلبت من جارها حسن ان يهبها فروة الخروف فوعدها بذلك .

وأخذ حسن يقلب افكاره ويفكر فى الوسيلة التى تمكنه من ان يشترى خروفا ، خاصة وانه لم يبق على عيد الاضحى إلا عشرة أيام وليس معه ثمن الخروف ـ إنه يتعذر عليه الاستدانة من اصدقائه فكلهم يعانون ما يعانيه هو من عسر وضيق ، وأخيراً هداه تفكيره إلى رأى صمم على تنفيذه ـ فأخذ قطعة من « مصاغ » زوجته ورهنها « بمؤسسة القرض الحسن » لقاء مبلغ خمسة عشر جنيها واشترى خروفا تعمد أن يحضره فى الصباح ، ليراه كل أهل الحى .

ولم يخب ظن حسن ، إذ بمجرد أن علا صوت الخروف ، سمع حسن صوتا كالقنبلة ، ولم يكن سوى صوت فتح نافذة صفارة التى ما كادت تلمح الخروف حتى أطلقت احدى زغاريدها وكان نتيجة ذلك أن أطل كل الجيران من شرفات منازلهم .... وهنا أمسك حسن برأس خروفه وأدخله منزله والابتسامة تعلو شفتيه ثم نظر إلى أهل الحى المطلين من الشرفات ، ودخل

منزله وأمر الخادمة بوضع الخروف فوق سطح المنزل وتقديم بعض الطعام له .

وبعد بضعة أيام ، عاد حسن الى منزله فوجد ان أهل المنزل واجمين وقد انتابهم الهم ـ فاستفسر الامر فعلم أن الخروف قد نفق ، حيث أنه قد قفز من السطوح إلى الشارع .

وهنا ظهر الوجوم على وجه الرجل الطيب ، وأحنى رأسه متمتما « لاحول ولاقوة إلا بالله » وأخذ يفكر ويفكر فلم يجد حلا . . . انه أول عيد سوف لا يذبح فيه خروفا. ولم يصب الوجوم والهم رب البيت وحده بل انتاب جميع افراد اسرته ، وشعر حسن بأنه المسئول الأول عما حدث لأنه هو الذى أمر بوضع ذلك الخروف فوق السطوح ، لذا حاول أن يخفف عن أهل بيته ما يضطرم فى نفوسهم من الحسرة والألم فابتسم قائلا :

ـ لعلها رحمة من الله ... هيا انهض يا حماده وأدر لنا المذياع علنا نسمع أغنية جميلة .

ثم ضحك ضحكة تشوبها بعض علامات الحسرة - وصمت الجميع من جديد ، ولم يبدد من هدوء المنزل غير صوت المذياع الذى انطلق يعلن ...

« أصدر الرئيس جمال عبد الناصر قراراً جمهورياً بصرف منحة عشرة أيام لموظفى وعمال الحكومة والمؤسسات بمناسبة عيد الاضحى المبارك وستصرف هذه المنحة فوراً » .

وهنا تسمر الرجل فى مكانه ، ونظر إلى من حوله ، ثم رفع عينيه التى امتلأت بالدموع الى السماء وأخذ يردد . .

- اللهم سترك ورضاك .

وتمكن حسن عبد الرحمن من شراء خروف آخر - وعم السرور جميع أهل المنزل من جديد .

ولكن ذلك لم يمنع صفارة من أن تقول فى كل بيت من بيوت الحى :

- شايفين ياناس ، حسن عبد الرحمن جاب خروفين . . منين جاب الفلوس وهو موظف بسيط .. الراجل ده لازم حرامى !! .

# أبو العيال

إنه أسوأ يوم فى الشهر بالنسبة لهذا الرجل الطيب عبد السميع محمود ـ إنه اليوم الذى ينتظره فيه اللبان والخباز والبقال والجزار وصاحب المنزل وصاحب البوفيه بمقر عمله ـ وعليه أن يدفع لكل منهم استحقاقه ، ويساوم فى الدفع عسى أن يقبل أحدهم تأجيل بعض دينه للشهر القادم ، وعليه أن يعيش هو وأولاده السبع بباقى راتبه البالغ ثلاثة وعشرين جنيها لمدة شهر ـ ثلاثين يوما ، ورغم استقامته وحسن تدبيره فقد تعذر عليه شراء حذاء جديد ، رخيص بدلا من حذائه الذى قد بلى ، ولم يجد غير الصبر يتذرع به .

ورغم كل ذلك لم يتغلب عليه الشيطان يوما ، وكلما

أحس بأزمة مالية رفع يديه الى السماء قائلا . .

- يارب ، لا أطلب منك غير الستر والرضا ، فلا تختبرنى ، فأنا عبدك المؤمن دائماً .

كل هذه الافكار كانت تدق رأس عبد السميع مع كل خطوة يدق بها الارض وهو متوجه الى الصراف لاستلام راتبه ... واذا به يجد نفسه أمام الصراف يوقع أمام إسمه بكشف المرتبات ثم يتناول راتبه ويعده المرة تلو المرة بحذر شديد ثم يضعه فى حافظة نقوده التى يضعها فى جيب سترته الداخلى وأخذ نفسا عميقا ثم عاد حذاؤه يدب الارض من جديد بخطوات ثقيلة... ولم يكد يستقر بمكتبه حتى وافاه صاحب البوفيه بالحساب - فشعر عبد السميع ببداية المتاعب الجديدة للشهر الجديد فاعتدل فى جلسته وأخذ يراجع الحساب علّه يجد خطأ واحداً ولكنه اقتنع بينه وبين نفسه بضرورة دفع السبعون قرشا ، فمد يده الى جيب سترته وأخرج منها حافظة نقوده ثم نظر اليها وفتحها ببطء - وأخرج منها النقود ودفعها لصاحب البوفيه وكأن صاحب

البوفيه ينتزعها منه انتزاعا ثم أعاد الحافظة الى مكانها .

وعاد الى تفكيره العميق مرة أخرى ، ولم يفق من تأملاته إلا على صوت زملائه وهم يغادرون مكانبهم فنظـــر الى ساعته فوجدها قد جاوزت الثانية بعـــد الظهر فقام لتوه وانصرف ، واستقل الترام فى طريق عودته الى منزله .

ولقد أسعده الحظ فى أن يجد مقعداً بالترام فجلس لتوه وعاد الى تفكيره العميق ، وأخـــذ يحدث نفسه : من أين لى الحصول على المـال من الطريق الحلال ؟ اننى أعمل بكل ما أملك من طـاقة ولا أعرف غـــير الطريق الشريف ، ولكن يارب ، سبعة أولاد وثلاثة وعشرون جنيها ـ هذه حكمتك !!

وأخذ الرجل يقلب الأمر من جميـع نواحيه ثم أخـذ يردد قوله تعالى « يرزق من يشاء بغير حساب » فتمنى من الله أن يعثر على مبلغ كبير ملقى فى الطريق ثم أخذ يفكر فى كيفية إنفاق هذا المبلغ على زوجته وعياله ، وكيف أنه سيسدد كل ديونه ويشترى حذاء جديداً له و « فستانا »

لزوجته .. وهنا تنبه من تفكيره بعد أن عثرت رجل أحد الركاب به فأفاق من غفوته ووجد أن منزله قد اقترب فلم يملك غير ابتسامة كلها سخرية وتهكم ...

ونزل من الزام وتوجه الى منزله ثم اعتزم أن يستريح بعد الغذاء قليلا ، ثم عليه بعد صلاة العشاء أن يجتمع مع زوجته ليدبر أمور معيشته فى حدود راتبه .

... ... ... ...

... ... ... ...

وأخذ الرجل يدب الارض من جديد بقدمين ثقيلتين وهو ناظر الى الافق البعيد وإذا به يتحقق أمله ويجد حافظة منتفخة ملقاة بالطريق فتناولها وما كاد يفتحها حتى وجدها مفعمة بأوراق نقدية فئة عشرة وخمسة جنيهات فأغلقها فوراً وقد اتسعت حدقتاه لهول المفاجأة ، وأخذ يفكر ويفكر ... هل يقدمها الى أقرب مركز بوليس ويكتفى بالمكافأة القانونية ؟ أم يأخذ المبلغ جميعه لزوجته وأولاده ؟ هل يعتبر هذا حراما ؟

وانتبه الرجل قليلا ثم أخذ ينظر حوله وخلفه ، فاذا به يلمح رجلا يتبعه ويرقبه ، فانتابت عبد السميع قشعريرة وحاول أن يسرع فى مشيته وهو مازال قابضا على المحفظة ولكن الرجل تقدم اليه بسرعة واعترض طريقه قائلا :

ـ سيدى ، لقد رأيتك عند عثورك على المحفظة وأرى أن حالك يدل على احتياجك مثلى لأى مبلغ من المال ، وأرى أن نقتسم المبلغ الموجود بالمحفظة .

فرد عليه عبد السميع بلهجة يشوبها الإضطراب ..

ـ لا يا سيدى ، لن يحدث ذلك وسوف أقوم بتسليم هذه المحفظة الى أقرب قسم بوليس وسأكتفى بمكافأتى القانونية وقدرها ١٠ ٪ من المبلغ ، نعم ، هذا يكفينى ولا يمكننى بأى حال من الاحوال أن أنفق على أولادى مالا حراما ، فقد تكون هذه المحفظة لشخص هو فى أشد الاحتياج للمبلغ الموجود بها ، ولن أكون سببا فى خراب بيت رجل لم يرتكب أى جريمة ..

فاتسعت عينا الرجل الآخر ونظر إلى عبد السميع من أعلا هامته حتى أخمص قدميه ثم قال بلهجة يشوبها الغضب :

ـ أنت بلا شك مجنون ـ هذه هى فرصة ذهبية لن تعوض إنها ليلة القدر بالنسبة لك.

فهز عبد السميع رأسه يمنة ويسرة علامة الرفض، وصمم فى إصرار عنيد على تسليم المحفظة الى قسم البوليس ..

وهنا خطف هذا الشخص المحفظة من يده بسرعة مذهلة وجرى بسرعة البرق مبتعداً عنه. ولما أفاق عبد السميع من هول المفاجأة حاول أن يتبعه ولكن كبر سنه حال دون ذلك فتوقف عن الجرى ولم يملك غير رفع يديه والصراخ بأعلا صوته مستنجداً ... حرامى ... حرامى.

وأفاق عبد السميع من نومه ليجد زوجته بجواره وكانت قد حضرت أثر سماعها له يتكلم وهو نائم، فأيقظته وهى تعتقد انها قد انقذته من كابوس مزعج.

وانتابت عبد السميع سحابة من الانزعاج فأخذ يتلفت حوله وهو يردد ..

ـ اللهم اجعله خيراً يارب ..

واخذت زوجته تهدىء من روعه فعاد ثانيا يبغى النوم ـ

ولكن النوم هرب من عينيه - وبدأ الرجل يفيق رويداً رويداً - ثم انتابه القلق لذلك الحلم المزعج - وأخذ يتقلب فى فراشه يلتمس النوم ثانيا ، ولكن هيهات ....

واخيراً جلس على حافة فراشه وتناول سيجارة اشعلها وأخذ ينفث دخانها ، وفجأة قام الى الصيوان ليتحسس حافظة نقوده الموجودة بسترته ولكنه لم يجدها .

فذهل الرجل وانتابه جزع لا يوصف ، فأخذ يلطم خديه ويتمتم بكلمات لا يدرى هل كانت تنبعث من عقله أم من قلبه أم لسانه .. فقد تأكد أن حافظة نقوده قد نشلت منه أثناء ركوبه الترام ولم يتمالك عبد السميع نفسه فأخذ ينادى بأعلا صوته على زوجته التى حضرت مهرولة لسماعها ذلك الصراخ المتواصل الصادر من زوجها .

ولما استوضحت منه جلية الأمر - أخبرها بمصيبته الكبرى ألا وهى فقد حافظة نقوده وبها كل راتبه .

ولكنها أجابته وهى تهدىء من روعه ..

ـ لا تقلق ، لقد اخذتها من سترتك وحفظتها فى مكان امين خوفا من ان تسرقها الخادمة الجديدة .

فهوى الرجل على سريره وتمتم قائلا ..

ـ حرام عليكى يا عيشة أنا أبو عيال ! !

جلست سعاد بجوار قبر زوجها ، فزعة تائهة ، مليئة بالحسرة والمرارة تنعى وتندب زوجها الذى لم يدم زواجها به أكثر من ستة أشهر ، نصف سنة فقط ، ثم اختطفه الموت فى لحظة لم تكن تتصورها بأى حال من الأحوال .

أخذت تنظر إلى نفسها ثم إلى قبر زوجها ثم الى الفضاء الشاسع المترامى الاطراف الذى يحيط بها ، فلا تدرى إلا وهى تخفى وجهها بين يديها لتقطع سكون ذلك الفضاء الرحب بشهقات تكاد تفتك بصدرها وقلبها .

كانت تنعم بالسعادة والحب ، وكانت تعتقد أنه ليس

هناك من هو أسعد منها فى هذه الدنيا ـ لقد أحبت زوجها الذى وهبها قلبه وحبه واسمه وبنت كثيراً من الآمال والأحلام ، ولم تكن تدرى أن ذلك كله لم يكن إلا سرابا خادعا وأملا كاذبا .

إنها تذكر ذلك اليوم المشئوم .. يوم وفاته .. تذكره فى كل لحظة ، وكيف لا ؟ إنه زوجها ، إنه حبيبها ، إنه أملها ، إنه من وهبها السعادة .. ولكنه مات .. نعم مات ..

فوجئت ذات يوم بمن يطرق الباب ليخبرها بمصرع زوجها فى حادث تصادم فانتقلت مهرولة كالمجنونة الى المستشفى لتجد زوجها قد فارق الحياة دون كلمة وداع ..

وظلت منذ وفاته تزور قبره كل يوم ، حتى أصبح الجيران جميعا يعرفون ذلك ، فكانوا يرثون لحالها ـ وكم حاول البعض منهم أن يثنيها عن عزمها .. ولكنها كانت تصد من ينصحها ولا تعيره التفاتا ..

ظلت المسكينة الفزعة على حالها ، تزور قبر زوجها

كل يوم ، فى ذلك المكان الذى أطلقت عليه ـ حى القبور ـ والذى كان يشغل مساحة كبيرة من مدينة دمنهور على هضبة مرتفعة ، ولم يكن يفصل القبر عن القبر أكثر من نصف متر . وبين المقابر طرق ضيقة هى السبيل الوحيد إلى كل هذه القبور ، كلها على شاكلة واحدة ، اللهم إلا بعضها الذى ثبتت عليه قطع من الرخام مكتوب عليها إسم أو أسماء من دفنوا بها ..

مكان رحب لا مفر من ملاقاته ، ولا مفر من لقاء وحشته ، ولم يكن أهل الدنيا يرون تكريما لموتاهم إلا زيارتهم لمقابرهم فى فترات قد تكون سنوية أو أقل ولكنها تنسى دائما على مر الزمان .. أو يكرمونهم بتسجيل أسمائهم على قبورهم أو زراعة شجر الصبار أمام القبر ، وتكليف حارس المقابر برعايته نظير أجر معلوم .

والغريب أن هذا الحى هو ومثله من الأحياء فى العالم لا يمكن أن يقل عدد سكانه مهما أصاب الأحياء الأخرى من الكوارث والنكبات .

وكانت سعاد تعتقد أن زيارتها لقبر زوجها كل يوم تجعلها قريبة روحيا من زوجها ، فقد أقسمت أن تكون وفية له حتى آخر رمق من حياتها .

كانت تبغض كل من يحاول أن يقنعها بأن تعدل عن غيها وتؤوب إلى رشدها ، وتنسى زوجها وتبـــدأ حياة جديدة ، وكانت تقول لمن يحدثها فى هذا الشأن :

- إن اسماعيل لم يمت .. إن روحه باقية وأنا أعيش معها دائما ليلا ونهاراً .. إنه لم يمت .. هل تفهمون ؟

ولم يكن يصادف سعاد أثناء زيارتها اليومية إلى المقابر سوى خليـل خفير المقـابر الذى كـان يعيش فى حجرة مهدمة فى هذا الحى - والغريب أن سعاد كـانت تحسد هذا الرجل لكونه يعيش فى حى الأموات ، إذ كـانت تعتبره نسبيا بعيد عن شر الأحياء ، وقريبا دائما من زوجها وحبيبها .

وكـان خليل رجلا ذا حكمة عالية وأخلاق دمثة ، إذ

أن تعوده على رؤيته للانسان بعد موته ، وتأمله فى الحياة وما فيها اكسبه حكمة وايماناً ، وكان يجزع لمنظر سعاد وهى تندب زوجها وقد فقدت ثقتها بالله سبحانه وتعالى . .

وكم من مرة نصحها بالعدول عن هذه الزيارة اليومية ولكنها حذرته من هذا الكلام فلم يملك الرجل غير ان يتألم لمنظرها الحزين فى هدوء صامت

ومرت صفحات الزمان تطوى وراءها أياما وأياما . . ومضى عام كامل وسعاد لم ينضب لها دمع ، وظلت تزور قبر زوجها يومياً ، وخيل لأهلها وجيرانها انها قد فقدت عقلها فقاطعوها ، ونشبت بينها وبين والدتها العداوة عندما طلبت اليها ان تتوجه معها إلى أحد الشيوخ ليكتب لها حجابا يشفيها مما اصابها وليبعد عنها الجن الذى يسيطر عليها . .

وذات يوم ذهبت سعاد كعادتها لزيارة قبر زوجها - ولكنها فى هذه المرات الأخيرة لم تكن تبكيه ، بل كانت

يجلس بجوار قبره الساعات الطوال وتنظر اليه فى شبه ذهول لا تفيق منه الا على صوت عم خليل .. ولم يحضر خليل ذلك اليوم كعادته ، وشعرت سعاد بأن شيئاً ما ينقصها ، فأفاقت من شرودها وذهبت بنفسها إلى حجرته لتجده طريح الفراش يصارع الحمى ، وحاول الرجل أن ينهض ليحييها ولكنها منعته . .

وتجاذبا أطراف الحديث ، وعلمت سعاد أنه كان متزوجا ولم ينجب أطفالا ـ علمت الكثير عن أحواله ثم قالت سعاد :

ـ لقد انقضى الآن أكثر من عام وأنا أحضر إلى هذا الحى ـ حى القبور حتى أصبحت الآن أشعر بمتعه لا تدانيها متعة أخرى عندما أحضر هنا ـ ان هذا المكان أصبح جزءاً لا يتجزأ من حياتى ـ إن الإنسان لو نظر نظرة واعية إلى هذا المكان لما افترى على أخيه الانسان وما حاول ان يحطمه . . انظر . . الغنى يرقد بجوار الفقير لا فرق بينهما فى شىء أبداً اللهم إلا عمل كل منهما

ماذا يأخذ الانسان من هذه الدنيا غير عمله الصالح ؟ أنت بعيد عن شرار الناس ، انت قريب من الله ـ انت قريب من احبائنا الذين ينتزعهم منا الموت دون كلمة وداع . . إنى احسدك لاقامتك فى هذا المكان . . نعم احسدك . .

ونظر خليل نظرة فاحصة إلى سعاد وفاجأها بقوله . .

ـ هل تقبلينى زوجا ؟ ثق اننى سأحاول إسعادك . .

وهنا صعد الدم الى وجهها ونظرت إلى الأرض وأخذت تفكر وتتأمل الحياة . . ماذا تجيب على هذا السؤال الذى لم تكن تتوقعه . . ولكنها أجابت :

ـ دعنى افكر . . وسأعطيك رأيى باكر .

وغادرت المكان وتوجهت إلى منزلها

جلست تفكر فى زوجها الذى فقدته الى الأبد واختطفه منها الموت . . فى ملامحه الوسيمة الهادئة واخلاقه الوادعة وابتسامته التى كانت تنسيها هموم الدنيا ، وصوته الرزين المملوء عطفا . .وكيف انها تعيش فى عزلة تامة عن عالم الرجال .

وتفكر فى خليل وطيبته وعمق ايمانه والذى كثيراً ما نصحها بأن استمرارها على حياتها بهذه الطريقة يحطمها ويعذبها مرات ومرات ، وخرجت من هذا التفكير بانها كانت وما تزال تحب زوجها . وماذا لو تزوجت خليل . . انها تحترمه وما أعظم الفرق بين الحب والاحترام . . ولكنها إذا قبلته زوجاً فستكون بجوار قبر زوجها وحبيبها الراحل وسيكون ذلك سبباً لرضاء أهلها عليها .

وعادت لزيارة قبر زوجها وقابلها خليل ونظر اليها نظرات كلها توسل ورجاء

- واتخذت قرارها وقالت :

- نعم أوافق يا خليل . . . ! !

جلس الشيخ مبروك فى منزله بين زوجته وأولاده يتناول طعام الإفطار المكون من الفطير والقشطة وعسل النحل ـ وكانت أسعد لحظات حياته ـ تلك اللحظات التى يجلس فيها بين زوجته وأولاده الأربعة ثم اخذ ينظر إلى ساعته وهو يتأهب للقيام حيث انه قد سمع صوت أقدام الحصان الذى يجر عربته «الكاريتا» التى يستقلها كل يوم .

وكان الشيخ مبروك يقيم بمدينة طنطا ومنها يتوجه يوميا إلى عزبته للاشراف على شئونها ـ وكانت وسيلته فى الذهاب والاياب إلى عزبته الكائنة بجهة قحافة القريبة من طنطا هى عربته الصغيرة ( الكاريتا ) التى يجرها حصان عربى أصيل أعطى له الشيخ مبروك جانباً كبيرا من الاهتمام .

وقد تفاءل من اقامته بطنطا حيث كان يسكن قريبا من مسجد السيد البدوى ، فكان دائما يؤدى صلاة الصبح بهذا المسجد قبل ذهابه الى عزبته ، كما كان يؤدى صلاة العشاء به قبل عودته الى منزله ـ وكم كان يشعر بروعة الإيمان عندما يملأ صوت المؤذن بيته عند صلاة الفجر إذ ينبعث الصوت الكريم فى كل ارجائه .

عرف عن الشيخ مبروك بين جيرانه تقواه وصلاحه وحبه للخير وتسامحه وكرمه وإيمانه بالله فكان محببا ومقربا من الجميع يستشيرونه فى كل ما يعن لهم من الأمور وكان حكيما فى تصرفاته مما جعل الجميع يركنون اليه فى الملمات .

وذات يوم توجه الشيخ مبروك الى عزبته كالمعتاد للاشراف على شئون زراعته واخذ يعمل طول اليوم حتى تصبب وجهه وجسده بالعرق وعلت وجهه الاتربة فجلس ليستمتع بقسط من الراحة ثم ليتناول غذائه مع بعض الفلاحين وليتبادل معهم الحديث وبعض الفكاهات . واذا به يجد خادمه الأمين احمد مقبلا عليه بسرعة مذهلة والحزن باد عليه ، فصاح به الشيخ مبروك :

— ماذا أصابك ياأحمد ؟ لماذا تجرى هكذا ؟

فرد عليه وهو يلهث قائلا . .

— لقد افتقدت الحصان الذى يقود العربة ـ بحثت عنه فى كل مكان فلم اجده . .

— هل بحثت عنه جيدا ؟

— بحثت عنه فى جميع أركان العزبة من الجهة الشرقية الى الجهة القبلية ولكنى لم أجده .

والتفت الفلاحون حول الشيخ مبروك بعد أن رأوا علامات الحزن والألم بادية على وجهه وتملكتهم الشهامة ووعدوه بأنهم سيبحثون عن الحصان .

وانصرف الرجال كل إلى جهته ، ودأبوا يبحثون عنه فى كل مكان ، ولكنهم عادوا ليأكدوا له بأنهم لم يعثروا عليه .

وجلس الشيخ مبروك يقلب كفيه ويتمتم قائلا . . لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . . . اللهم اكفينا شر المستخبى..

وصار يكرر ذلك والحزن تنطق به كل عضلة من عضلات وجهه .

وانتشر الخبر سريعاً بالقرية فتوجه أبو سريع - شيخ البلد - وحمدان الخولى إلى حيث يجلس الشيخ مبروك ليواسياه فى مصابه . . وقد حاولا بكافة الطرق أن يخففا عنه المصيبة ولكنها كانا فى واد وهو فى وادآخر وأخيرا اقترح شيخ البلد أن ينتقلوا جميعا الى منزله انتظارا للاخبار .

واجتمع بعض القوم بمنزل أبى سريع الذى أكرم وفادتهم وحاول أن يبالغ فى اكرامهم بجعلهم يدخنون الحشيش، واعترض الشيخ مبروك على ذلك حيث لم يسبق له أن دخن الحشيش ، كما حاول أن يقنعهم بأنه سم للجسم والعقل وأنه ممنوع شرعا وقانونا . . . ولكن القوم أقسموا له بأنه سوف يشعر بالارتياح والانبساط اذا مادخنه ، وبأنه سوف ينسى حصانه ، ولكن الرجل أخذ يصيح فيهم قائلا :

— ياناس ، هذا حرام . . والله حرام . .

ولكنهم مازالوا به يحثونه ويقنعونه . . .

والنفس بطبيعتها أمارة بالسوء ، فرضخ الشيخ مبروك لأمر الشيطان ، وأخذ يدخن معهم ذلك السم اللعين الفتاك وأخذ

صوت سعاله ينبعث فيملأ الأرجاء ويثير ضحكات القوم من حوله وكلما هم بترك مكانه صاح به الرجال . .

- يا رجل . . . ماذا حدث ؟ إستمر . .

فصار الرجل يدخن حتى شعر بارتخاء أعضاء جسمه ، وبأنه لا يمكنه الحراك ، وصارت الأشياء تتراءى له مقلوبة ، وأخذ يرمش بعينيه ويفركهما علّه يفيق ، ولكنه شعر بجسده يترنح يمنه ويسره . . . كل ذلك والقوم يلحون عليه ويحثونه على الاستمرار فى التدخين . .

وشعر بجوع غريب وبأن أمعاءه تلتف حول بعضها ، ولما شعر بأنه بدأ يفقد القدرة على الكلام أو الحركة طلب من أصدقائه أن يصطحبوه الى منزله . . فاصطحبه أبو سريع وحمدان . . مشيا على الاقدام .

وكانت بشائر الاحتفال بمولد السيد البدوى قد حلت ، ففى طريق عودتهم وجدوا كثيرا من المحلات تعرض الحلوى الشعبية للبيع - من عرائس إلى حيوانات إلى مساجد إلى قطع حلوى مستديرة ومستطيلة وكلها مصنوعة من السكر بألوان متعددة .

وكان أبو سريع يمزح ويمرح أثناء سيره ، فأقسم أن يأكل الشيخ مبروك حصاناً من الحلوى بدلا من حصانه الذى سرق وقام فعلا بشراء حصان من الحلوى لونه أحمر وقدمه إلى الشيخ مبروك الذى اكله فوراً بعد ان هشمه بين يديه حيث الجوع قد عضه بأنيابه .

ووصل الشيخ مبروك أخيراً إلى منزله يترنح ودخل إلى بيته بعد أن ودعه أصدقاؤه . . وكان تأخره عن ميعاد عودته قد بعث القلق فى نفس زوجته التى هرولت اليه عندما رأته قادماً وأسرعت قائلة :

ـ اين كنت حتى هذه الساعة من الليل ؟ لقد انتابنا القلق . .

فنظر اليها الرجل من أعلا هامتها حتى اخمص قدميها وخيل أنه يراها اثنين وابتسم وهو يترنح وقال :

ـ أين . . . ؟

ولم يتم كلامه حتى لاحظت زوجته أنه يأتى بحركات غريبة ، وانه لا يتمالك نفسه للوقوف ، وأن عيناه قد اكتسبتا لونا أحمر لم تعهده فيهما من قبل ، وهنا شعرت الزوجة بفزع شـــديد ، ولكنها صاحت فى زوجها . .

ـ ماذا دهاك ؟ أين كنت . . . ؟

ـ . . . . .

وفجأة مال الرجل بجسده إلى الأمام ثم أفرغ ما فى جوفه من طعام أمام زوجته وأولاده الذين أقبلوا مهرولين على صوت والدتهم المرتفع . . فكان لون ما لفظه من الطعام أحمر ، وجزعت زوجته واعتقدت ان زوجها قد أصابته مصيبة وأن ما يلفظه هو دم فصرخت وولولت . . .

وقد حاول الشيخ مبروك أن يطمئنها رغما عما يشعر به من تعب وإرهاق فأقترب منها وربت على كتفها قائلا بصوت متحشرج

ـ مانخافيش . . . أنا واكل حصان ! !

ولم يكمل كلامه وأرتمى على الأرض .

فصرخت الزوجة وأعتقدت أن زوجها قد أصابه مس من الجنون ، واجتمع على صراخها الجيران . . كل يحاول أن يفيق الشيخ مبروك ولكن دون جدوى . . فنقلوه إلى فراشه .

وجلس القوم بجواره ينظرون اليه ، وبدأ يفتح عينيه ببطء شديد وأخذ هو الآخر ينظر اليهم ، ثم أخذته سنة من النوم واستغرق فى ثبات عميق ـ فانصرف الجيران بعد ان طمأنوا

الزوجة ، فجلست هى وأولادها بجوار سريره ينظرون اليه والدموع تنهمر من عيونهم .

وظلوا على هذا الحال إلى أن سمعوا أذان الفجر . .

« الله اكبر . . . الله اكبر »

وبعد فترة وجيزة سمعوا طرقاً شديداً على الباب فقامت الزوجة لإستجلاء الأمر ، فاذا بها تجد الخادم احمد يفاجئها بقوله

ـ لقد وجدنا الحصان . . نعم لقد وجدنا الحصان . .

فردت عليه قائلة والدهشة بادية عليها . .

ـ ماذا ؟ الحصان . . الحصان . . الحصان . .

. . . . . .

. . . . . .

مضت أعوام على تلك الحادثة وأصبحت كلمة حشاش تلازم الشيخ مبروك فالتصقت باسمه وأصبحت لقبا لا يفارقه .

ولن يعرفه أحد من سكان الحى إذا سأل عليه سائل ولم يقل الشيخ مبروك الحشاش ! !

أخذ الملازم مدحت عبد العليم يقطع الشارع بخطوات ثابتة وهو منتصب الرأس — يشعر بأن شيئاً جديداً ينبعث من نفسه ويحيطه بهالة من العظمة والكبرياء . . كان كل ما يرتديه جديداً — فالزى العسكرى وما يحمل من علامات الرتب كله جديد لم يستعمله الا هذا اليوم وهو يوم تخرجه .

كان يشعر بأن كل الناس تنظر اليه ، ولكنه كان فى شغل عنهم للمحافظة على مشيته العسكرية ، ثم رفع رأسه الشامخة إلى السماء فاذا به يراها ملبدة بالغيوم . ومنظرها لا يبشر بجو جميل ، ثم نظر ثانية إلى لمعان حذائه ، وإلى حلته الجديدة ، وحينذاك رفع رأسه ثانية وأخذ نفساً عميقاً ثم تطلع إلى الأمام بنظرات ثابتة وعاد يدب الأرض بخطوات عسكرية متزنة .

وفجأة لمح شخصا يقترب منه والابتسامة الواسعة ترتسم على كل ملامحه فاذا به يجده صديقه الحميم حسن يوسف .

وشعر الصديقان بفرحـــة غامرة تنبعث من أعماقهما فاذا بالعناق الحـــار ثم القبلات ثم التحدث عن الماضى والحاضر والمستقبل . . . وهنأ حسن مدحت بمنصبه ، أما حسن فكان خبيراً محاسباً حديث العهد بالتخرج .

وأخذ الصديقان يتجاذبان أطراف الحديث وهما يتنزهان مشيا على الأقدام إلى أن وصلا إلى ميدان الجمهورية . . وأكفهر الجو ، وبدأت السماء تمطر رذاذاً ، فوقفا سويا تحت إحدى المظلات الخاصة بركاب السيارات الأتوبيس وفجأة هرعت إلى هذا المكان غادة حسناء أثارت إنتباه كل من كان واقفا بهذا المكان ، وأخذ كل من مدحت وحسن يختلسان اليها النظرات وإذا ما رفعت عينيها اليهما ووجدتهما يحملقان فيها ، إنتابها الحياء فنظرت إلى الأرض ثانية .

وفجأة قصف الرعد وأمطرت السماء مطراً شديداً جعـــل الناس يهرعون إلى تلك المظلة للاحتماء بها — فأشتد الزحـــام تحتها وأقترب مدحت وحسن من الفتاة — كل يحاول أن يجد

مخرجا ليكلمها ولكنها كانت فى شغل شاغل عنهما ، إذ ظهر الاضطراب الشديد عليها وأخذت ترتعد من شدة البرد وحاولت جاهدة أن تتحاشى التصادم بهذا الحشد من الناس الذين يقفون تحت المظلة بعد أن أصبح المكان ليس به موضع لقدم . . وبين الفينة والفينة كانت تنظر إلى ساعتها الذهبية التى بمعصمها ، وما تكاد ترفع نظرها عنها حتى يعاودها القلق والاضطراب من جديد .

وأخيراً توقفت الأمطار وهدأت العواصف قليلا وأخذ القوم ينصرفون كل إلى جهته ـ ولم تكد تلك الحسناء تغادر مكانها بحذائها المرتفع حتى هوت فى بركة سبيتها مياه الامطار فاندفع مدحت نحوها يحاول إنقاذها فكان مصيره هو الآخر ان انزلق وأتسخ زيه العسكرى ، فتصبب عرقا وأخذ ينظر إلى نفسه ثم إلى الفتاة نظرة رثاء ، فرفعت اليه الفتاة عينيها الساحرتين ونظرت الى منظره ثم الى ملابسها ، وإذا الاثنان ينفجران فى الضحك وحسن واقف تحت المظلة يضحك بدوره لهذا المنظر .

حدث كل هذا فى بضع ثوان ، ومد حسن يده إلى الفتاة

وإلى مدحت وساعدها على النهوض وتحدث ثلاثتهم — مدحت وحسن والفتاة .

الفتاة ـ أنا أسفة لما سببته لك من متاعب .

مدحت ـ لا أبداً ـ لعل القدر هو الذى دبر كل هذا . . من يدرى ؟

حسن ـ هذه عين حسود . .

وأخذ مدحت ينظر الى ملابس الفتاة ثم إلى ملابسه ويبتسم ثم تكلم قائلا موجها حديثه إلى الفتاة . .

مدحت ـ هل لديك الآن عمل ؟

الفتاة ـ طبعاً فأنا أعمل ممرضة . .

حسن ـ فى أى مستشفى ؟

الفتاة ـ فى مستشفى . . . .

مدحت ـ اعتقد انه من الأفضل أن نتعارف . . أنا اسمى مدحت عبد العليم واسرع حسن قائلا . .

ـ أما أنا فأسمى حسن وأعمل محاسبا . .

وردت الفتاة فى صوت رقيق قائلة :

ـ أهلا وسهلا ـ أنا أسمى سعاد وطبعا عرفتم مهنتى وعنوانى

واقترح حسن عليها ان يتوجها إلى احد المحلات المجاورة ليزيلا ماعلق بملابسها من اوساخ فقبلا وتوجها الى احد المحلات المنعزلة حيث اخذت الفتاة تزيل ماعلق بثيابها من طين اما مدحت فقد اقتنع بأنه لاحيلة له مع حلته الا محلات تنظيف الملابس .

واخذ كل منهما يحاول كسب ود الفتاة .. فمدحت يعتقد انه أحق بصداقتها لأن ما اصابه لم يكن الا بسبب محاولته انقاذها ، اما حسن فكان يعتقد انه احق بصداقتها حيث انه له الفضل فى احضارها إلى هذا المكان .

واستقل الثلاثة احدى سيارات الأجرة .. وتوقفت السيارة عند باب المستشفى التى تعمل به الفتاة .. وشكرتهما الفتاة ، وقبل ان تغادر السيارة — أعطاها كل منهما بطاقة مطبوعا عليها اسمه وعنوانه ورقم تليفونه وانصرفا لحال سبيلها .

ومرت الايام والشهور وكلما تقابل مدحت مع حسن يسأل كل منهما الآخر :

— هل كلمتك سعاد ؟

فيكون الجواب بالنفى . .

وذات يوم استيقظ مدحت من نومه وارتدى ملابسه وشعر بضيق لايعرف له سببا واخيرا لم يجد بدا من زيارته لصديق العمر حسن علّه يزيل عنه هذا الضيق بفكاهاته .

كان ذلك اليوم يوافق الخميس وكان الجو رائعا جميلا والقاهرة كلها تتألق بالانوار — فرأى مدحت أن يذهب إلى صديقه مشيا على الاقدام . . . وبدأ يشعر بشىء من هدوء النفس وبدأ يفكر فى نفسه ، فى حياته ، فى وحدته . . . فى الملل الذى بدأ يسيطر عليه هذه الايام ، وأخذ يسأل نفسه :

— ما السبب الخفى وراء ذلك ؟ أهو الفراغ ؟ أو الوحدة ؟ أم هما معا ؟

وبدأ يفكر فى بناء أسرة — نعم أسرة تشاركه فيها زوجة وفيه تكون شريكة لحياته تخلص له الود وتحفظ له العهد ، تشع على نفسه فتملؤها غبطة وسرورا ، وتفيض على مشاعره عطفا وحنانا ، فتنسيه مرارة الوحدة ، وسآمة الانفراد والعزلة . .

ولكن من تكون هى هذه التى سيقع عليها اختياره لتكون

شريكة عمره ؟

وبدأت الافكار تتسارع الى رأسه ، والذكريات تحوم حول عقله ، وأخيرا وجد نفسه يمر بجانب المستشفى الذى كانت تعمل فيه هذه الفتاة وتذكر جمالها ورقتها ، وصمم أن يسأل عنها بالمستشفى فى اليوم التالى بعد أن يستشير صديقه حسن عن رغبته فى الزواج من تلك الفتاة .

وأخذ مدحت يسرع الخطى وشعر بأن صدره يتفتح من جديد والهواء يزداد انتعاشا من حوله والقاهرة كلها تتلألأ أمام عينيه .

وفجأة وبدون أن يشعر وجد نفسه أمام منزل صديقه حسن والاضواء المختلفة تزين شرفات المنزل ، الأطفال تقف وتهلل عند باب المنزل .

فرفع مدحت رأسه ولنظر الى الشرفات ودخل المنزل مترددا كم كانت دهشته أن يجد صديقه حسن يزف الى عروسه سعاد . . . ! !

البجبجة

وفق محسن فى الالتحاق بكلية الطب — جامعة القاهرة — وكم كان سعيدا بعد أن علم من صديقه ابراهيم ـ زميل طفولته ـ بأنه هو الآخر قد التحق بنفس الكلية . .

وقد اتفقا أن يقيما سويا ، فاستأجرا شقة صغيرة بجوار الكلية وأحضرا بعض الاثاث ، واستقر بهما المقام فى القاهرة .

واستمر بهما الحال هكذا . . . كل منهما يستذكر دروسه بجلد وصبر ، وفكر محسن فى الحصول على جمجمة تساعده على المذاكرة وليدرس عليها عمليا ماهو بالكتب ، ولكن ابرهيم كان

يعارضه هذا الرأى ويرى الإكتفاء بما هو موجود بالكلية .

وصارت الفكرة تراود محسن ليلا ونهارا إلى أن قابله ذات يوم خليفه التومرجى الذى افهمه بأنه يمكنه أن يشترى أى عضو أو جزء من الانسان من الحانوتى سيد الدباح لقاء ثمن معلوم .. وأفهمه أن لكل شيء تسعيرته فالجثة الكاملة بخمسة جنيهات والذراع بخمسين قرشا والجمجمة أو الرأس بجنيه .

وعاد محسن إلى منزله وقد تخمرت فكرة شرائه للجمجمة فى ذهنه وصمم على الذهاب إلى الحانوتى ..

وعرض الأمر على صديقه ابراهيم الذى حاول أن يقنعه بأن يقلع عن شراء الجمجمة وأن يقدس حرمة الموتى ، ولكن محسن رد عليه قائلا :

— اليس ذلك فى سبيل العلم ؟ ياسيدى الفاضل الم تر كيف تعرض الحكومة جثث قدماء المصرين بدار الآثار — الم تقم مصلحة الآثار بنبش القبور فى سبيل الحصول على المزيد من المعلومات عن مدنية قدماء المصرين — كل ذلك فى سبيل العلم

ولاجناح على .. هل فهمت ؟

— فيرد عليه ابراهيم :

اسمع يامحسن — انك تريد أن تكون فيلسوفا — ولكن يبدو انك تعتقد فى أن وجود هذه الجمجمة على مكتبك سيكسبك شخصية الأطباء . كما وان الزهو والفخر سوف يتملكانك اذا مارأى أهل قريتك تلك الجمجمة على مكتبك . . نعم انهـا ستذكرهم بأنك بكلية الطب . .

— أقسم لك أنك مخطىء وانى لا أكافح فى الحصول على هذه الجمجمة الا فى سبيل العلم .

وكان الجدل عنيفا ولكن محسن صمم على شراء هذه الجمجمة وتمكن من العثور على الحانوتى سيد الدباح الذى سلمه الجمجمة مقابل خمسين قرشا فأخفاها فى حقيبته التى كان يحملها وعاد بها الى منزله مسرورا لتلك الصفقة الرابحة ليجد صديقه ابراهيم الذى اندهش بادىء الأمر لتنفيذ محسن لرغبته ولكنه لم يعره التفاتا

وتوجه لحجرته . .

وعادت الأمور الى مجاريها بين محسن وابراهيم الى أن كان ذات يوم هب فيه ابراهيم من نومه مذعورا ، وأخذ يجيل النظر حوله ، وكان محسن لايزال يستذكر دروسه ، فاندهش لرؤية صديقه على هذا الحال من الفزع ، وأخذ يهدىء من روعه ، ولكن ابراهيم أخذ يبتلع الغصات التى تجمعت فى حلقه ويتمتم . لابد وان تعود هذه الجمجمة الى قبرها ـ لابد وان تعود . .

ففغر محسن فاه وقد اعتقد بأن ابراهيم قد أصابته لوثة وقال بصوت منخفض :

ـــ ما الأمر ؟ وماذا تقول ؟ وماذا حدث ؟

ـــ محسن . . لقد رأيت فى منامى الآن صاحبة هذه الجمجمة وقد رجتنى بل توسلت إلى أن أعيد رأسها إلى قبرها . . هل تفهم ؟

فابتسم محسن باستهزاء وقال بسخرية لاذعة .

ـــ كان على صاحبة هذه الجمجمة أن تزورنى أنا ولاتزورك انت . . فأنا الذى اشتريتها ودفعت ثمنها وليس أنت . . وعلى كل

أنا لااعتقد فى هذه التفاهات وسوف لا أعيد هـذه الجمجمة مهما كانت الاسباب .

واستمر الحال بين محسن وابراهيم فى منازعات مستمرة بسبب هـــذه الجمجمة اذ كان ابراهيم يصر على اعادتها حيث انه يرى دائما صاحبتها فى المنام ترجوه وتلح عليه أن يعيدها إلى قبرها ، بينما محسن يضرب بكلام ابراهيم عرض الحائط .

إلى أن كان مساء ذات اليوم . . . . وكان الجو قارسا ، فجلس ابراهيم بجوار محسن يستذكران دروسهما وعلى الجانب المقابل لهما يقع مكتب محسن وعليه الجمجمة .

وفجأة نظر محسن الى الجمجمة ثم اتسعت حدقتاه وفغر فاه وسقط الكتاب من يده وتشبث بكتفى ابراهيم وبـــدا الجزع الشديد على وجهه اذ لاحظ أن الجمجمة تتحرك حركات بطيئة . . ونظر ابراهيم الى صديقه محسن ثم وقع بصره هو الآخر والعجب يتملكه على الجمجمة . . فتسمر فى مكانه وأخذ ينظر الى محسن نظرات كلها جزع وخوف واحتقار وأخـــذ يذكره بكلمات متقطعة بنصائحه ويؤكد له أن صاحبة هذه

الجمجمة سوف تنتقم منها . . وباليته اعادها إلى قبرها . .

كل ذلك والجمجمة دائبة على حركاتها البطيئة ، وأخذ ابراهيم يقرأ بعض الآيات القرآنية ، كما أخذ محسن يتمتم بعبارات غير واضحة . . .

وشعر ابراهيم ان قواه قد خارات فاسبل جفنيه فى شبه يأس وشحب وجهها وتصبب العرق على جسديهما والتصقا ببعضهما حتى أصبح كل منهما يسمع دقات قلب زميله ، كل ذلك والجمجمة تتحرك ببطء ثم تتحرك بعنف . . .

ثم فجأة قفز من الجمجمة فأر صغير كان بداخلها وكان يحاول الخلاص ! !

حب بالمراسلة

بيروت فى ١١ فبراير ١٩٦٤

عزيزتى وفاء

لك أحسن تحياتى وأطيب تمنياتى . . وبعد

قد يثيرك خطابى هذا . . ولكننى بعد تفكير عميق وروية . . وبعد أن استجمعت شجاعتى ، رأيت بعد أن تراسلنا حوالى الثلاث سنوات أن أبوح لك بسر خطير . . اعتبره خطيرا بالنسبة لى ولك . . واعتقد أنه لابد وأن نواجه الحقيقة المرة أحسن من أن توجهنا هى . . لأنها مهما كانت مرة فهى أهون من الكذب .

رغما من أننا لم يسعدنا الحظ باللقاء الا اننا من واقع مراسلتنا قد اتفقنا على الكثير من الآراء ، الأمر الذى جعلنى انجذب اليك، واجد فى الكتابة لك لذة لاتدانيها لذة . . وأجدنى دائما فى شدة الشوق لرسائلك كأنما أنا عاشق أو فى انتظار حبيب . .

وفاء الحبيبة

كان بودى أن أبعث اليك بخطاب أسألك فيه عن رأيك فى الحقيقة والكذب وأصحاب كل منهما . .ولكن خانتنى شجاعتى ، الا أن عذاب الضمير ولومة النفس جعلانى اكتب اليك خطابى هذا لتؤمنين بأننى أملك الضمير اليقظ .

وفاء . .

قبل أن أواجهك بالحقيقة لاتنسى آمالنا الحلوة فى خطاباتنا وعتابنا البرىء ثم لاتنسى اننا تواعدنا يوما على اللقاء وان كنا لم نكن حددنا هذا اليوم . . فكنت اتصور وأتخيل اننى الهو معك فى ربوع لبنان . . وأذكر الآمال الحلوة التى تنبعث من خطاباتك وبعض علامات الطفولة البريئة التى فى كتاباتك والتى تأبى

أن تتخلى عنك دائما . . والتى تصبغ عليك صبغة ملائكية ..
كل هذا لا أنساه

وفاء الحبيبة

لا أكتب كل هـذا لألين قلبك ، ولكن لأهون الحقيقة وأصور مشاعرى صادقة . . فلقد فهمت انى شاب فكتبت إلى دواما وأخشى ما أخشاه ان تبنى آمالا كبارا على هـذا الفهم ، فرأيت ان اصارحك بأنى فتاة مثلك .

وفـاء

بالله عليك لاتثورى ولاتتهمينى بالغش والخـداع فأنا احبك . . وتقبلى الحقيقة بسعة صدر ورحابة نفس . . أما الصورة التى ارسلتها اك فلم تكن الاصورة شقيقى سالم .

وفـاء

ليتنى ادرى الحالة التى ستكونين عليها عندما تعرفين الحقيقة هل هى حالة سخرية ؟ أم ضحك ؟ أم احتقار ؟

وعلى كل فلن أنساك، وأرجو من قلبك الكبير أن يغفر لى والا يزحزح مكانتى فيه واتعشم ان نستمر فى المراسلة ونتبادل الآراء سويا فيما يختص ببنات جنسنا .

ودومى سعيدة ،

المخلصة

رجاء

القاهرة فى ٢٠ فبراير ١٩٦٤

عزيزتى رجاء

تحية طيبة وأشواق زائدة وبعد . .

وصلتنى رسالتك الحبيبة ، ويستحسن أن أصور لك كيف استقبلت ذلك الخبر . . فلقد شعرت عند وصول رسالتك بتلك الفرحة التى تنتابنى دائما عند وصول خطاباتك ولكن عند قراءة « الكلمات الاولى من خطابك انقبض قلبى اذ شعرت بلهجة غريبة تنبعث من كل كلمة ، ووجدت عينى تلتهم الكلمات التهاما وهى تستشف المزيد وتلح فى معرفة السر الخطير . . . . . الى أن عرفته ولم أملك غير الاستغراق فى ضحك لم يسبق لى أن ضحكت مثله طول حياتى . . صدقينى بأننى لم اندهش ولم اعجب عندما عرفت الحقيقة فالدنيا مليئة بالعجائب والغرائب والمفاجآت ، اما من ناحيتى فاننى لم أندم على ما كتبته من رسائل وكفى اننى علمت الكثير عن بلدكم الجميل — علمت طباع أهل لبنان وعاداتهم . . عرفت تاريخها وحضارتها وماضيها وصراعها مع الاستعمار . . عرفت كل هـذا عن طريق

رسائلك .

رجـــاء

كونى على تمام اليقين بأننى أذكر كل كلمة ، كـل خفقة كـانت تنبعث من رسائلك . . نعم لقد انفقنا على كـثير من الآراء . . نعم لقد انفقنـا على كـثير من الآراء فيما يتعلق بالحب والمستقبل والحياة الرحبة وثقي بأننى أحب بل وأعشق روح رجاء . . . وأحب أن اخبرك أيضا بأنك أشجع منى بل وأيقظ منى ضميرا ، وكفى ان كـانت عندك الشجاعة الكافية لتخبرينى عن حقيقية جنسك . . فكبرت فى عينى واصبحت ثقتى تزداد بك اكـثر واكـثر . . وأخذ يؤاخذنى ضمـيرى وصدرى وعقلى فأفقت من غفوتى ورأيت أن الواجب يحتم على أن اخبرك بأننى لست فتاة كما ذكرت لك وانما أنا فتى . .

لا تعجبين ! ألم أقل لك أن هذا الزمان ملىء بالعجـــائب والمفارقات والمفاجئات والغرائب .

رجاء . .

لقد استقبلت رسالتك بالضحك فأرجو ألا تستقبلى رسالتى بالذهول ولا تنسى أننا فى يوم ما كان بيننا شىء أكثر من الحب وكان بيننا لقاء تركنا تدبيره للقدر . .

رجاء . .

بالله عليك كونى صريحة كما انت الآن وسلى نفسك هذا السؤال : هل تشعرين أن علاقتنا التى توثقت من رسائل ثلاث سنوات كاملة ستبقى كما هي ولن تشوبها شائبة ؟

اننى على تمام اليقين بأن اجابتك على هذا السؤال ستكون بالنفى ويؤسفنى أن اقول لك بأنه يتعذر على الكتابة لك بعد الآن فان اى صداقة تبنى من مبدئها على الكذب والغش لا يمكن ان يكون مصيرها الا الفشل . .

رجاء . .

لقد تألمت كثيرا ندما على تلك الصداقة الطويلة وماحملت فى طياتها من عمق ومشاعر يعجز عن وصفها قلم ولكننى أقول سلام أخيك العربى إلى كل نسمة من نسمات لبنان الحبيب وإلى كل ربوة

من رباه وإلى كل عربى يحمل حبا لأخيه العربى مثلما احمل لك انا من حب عميق .

رجاء . .

لاتبكى على صداقتنا ولكن اسألى الله ان يمنحك حبا اعمق وصداقة اوفى تبنى على الواقع والحقيقة والصراحة . . ويومها . . . يومها فقط اخبرينى لأكون أول من يهنئك . .

وتقبلى تحياتى ،

المخلص

وفاء

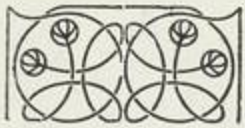

التوأمان

اندفع مدحت كالثور الجامح إلى حجرة أخيه وفتح الباب دون إذن ونار الغضب تلهب أحشاءه فوجد أخاه يجلس على سريره يتصفح احدى الجرائد فاندفع اليه وأمسكه من كتفيه وأخذ يهزهما بشدة ويصيح :

— اسمع يامحسن ، لقد تحملتك بما فيه الكفاية وتحملت كل اهاناتك التى توجهها الى ، اما اصدقاؤك الفاسدون فلست على استعداد مهما بلغت الأمور لأن اتحمل سخافاتهم وتفاهتهم .

فنهض محسن من سريره فى تراخ وكأنه لايلمح ثورة أخيه وقال باستهتار :

— ماذا حدث ؟

— الا تعرف ماذا حدث ؟ اصدقاؤك بالجامعة يتبعونى أينما ذهبت وكل منهم يوجه كلمة نابية أو إشارة سخيفة . . سيد يقول الشيخ مدحت وصل ! ومحمد يقول : من يصدق أن مدحت شقيق محسن ؟ ثم يجيء دور فتحى فيشير إلى ويقول : بركاتك ياسيد مدحت ! ! ويحدث كل هذا أمام الطلبة والطالبات . . اسمع ، اذا لم تضع حدا لاستهتارك واستهتار زملائك فسأعرف كيف أوقفهم عند حدهم . .

وترك مدحت حجرة أخيه ولم تكن ثورته قد هدأت بعد ودخل غرفته .

ولم تكن تلك المشاجرة الأولى من نوعها . . فطالما نشبت مثلها بينهما اذ كان مدحت ومحسن توأمين لايفترقان فى شىء فى الشكل الا أن الاول كانت له ندبة صغيرة فوق ذقنه نتيجة حادث حدث له وهو صغير ، أما اخلاقهما فكانت على طرفى نقيض ، فالأول متدين يؤدى الصلاة فى مواعيدها ولايترك فرضا الا ويؤديه . . يخشى الله ويؤمن بالحديث الشريف . . « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا »

اما محسن فكان معروفا بين أقرانه « دون جوان » ويفخر بذلك امامهم ويتباهى بقدرته الساحرة على التحدث إلى أى فتاة يرغبها .

وكم قاسى مدحت من سخرية أخيه محسن ولكنه كان يكظم غيظه بين ضلوعه . . ولم يجرؤ يوما أن يشكو أخاه لوالده حيث ان كل أهل المنزل كانوا يهابونه . يهابون رب العائلة ذلك الرجل الوقور الذى حج بيت الله ست مرات ، ولم يكن همة الشاغل بعد بلوغه سن المعاش الا عبادة الله وزيارة أهل البيت فكان يمضى معظم أوقاته متنقلا بين المساجد نهارا وغارقا فى كتب الدين ليلا . .

ولم يكن يقلق محسن الا عجزه عن التحدث إلى سميرة ابنة الجيران إذ كانت فتاة عاقلة متزنة على جانب كبير من الجمال وتتمتع بسمعة حسنة بين أهل الحى . . ولم يكن محسن يراها الا أثناء توجهها الى مدرستها بالسيارة . . فاذا سمع صوت آلة التنبيه ينبعث ، يجرى إلى الشرفة ليتمتع بمنظرها وهى تتوجه نحو السيارة مسرعة وشعرها الذهبى يعبث به الهواء فيملأ عينيه

بهذا المشهد الرائع ويغمضها كأنه فى حلم جميل وكم وقف الساعات الطويلة يطل من نافذته لكى يراها ولكن ظنه كثيرا مايخيب ، وقد حاول بشتى الوسائل ان يلفت نظرها اليه ولكنها كانت فى شغل شاغل عنه بدراستها .

وعادت المياه إلى مجاريها بين محسن وأخيه فى نفس يوم مشاجرتها وفى مساء اليوم التالى عند منتصف الليل تقريبا ، ذهب مدحت إلى غرفة أخيه وجلس امامه فرفع محسن عينيه إلى اخيه ، ولاحظ انه يريد ان يحدثه بشىء فأخذ يستحثه على الكلام . . . واخيرا اخبر مدحت اخاه بأنه سيفضى اليه بسر وطلب منه ان يعده بالمحافظة على كتمانه ، فوعده بذلك ، فقال مدحت :

— محسن . . حدثت لى حادثة هى الأولى من نوعها فى حياتى . سببت لى الكثير من المتاعب والتفكير ، ولعلك لاحظت ذلك فى الفترة الأخيرة اذ اصبح الأرق يلازمنى ، واصبحت لااقوى على استذكار دروسى فهل تعدنى ان تساعدنى ؟

فرد محسن :

ـ بكل تأكيد . .

ـ طبعا انت تعرف تلك الفتاة ـ سميرة ـ التى تقيم فى المنزل المجاور لنا ، لقد حاولت تلك الفتاة مرارا وتكرارا ان تحدد لى ميعاد للقائها ولكننى كنت اعتذر دائما . . لماذا ؟ لا ادرى كنت اجدنى لا أقوى على لقائها وانت تعرف كم انا خائب فى هـذا الميدان . . وكانت كل اتصالاتنا عن طريق اختها الصغيرة سوسن . . وقد حذرتنى ان اخبرك عن هذه العلاقة وكنت فى كل مرة ترغب فى مقابلتى يؤنبنى ضميرى وأجد نفسى عاجز عن مقابلتها فكنت أعتذر لها بأدب . . ولكنهـا اليوم دعتنى لمشاهدة فيلم « ظهور الاسلام » وارسلت لى تذكرة بسينما اوبرا .

واسترسل فى كلامه قائلا واخوه يحملق فيه وقد اصابه الذهول :

ـ نعم ارسلت لى تلك التذكرة ـ وأبرزها له ـ وطلبت منى أن أذهب باكر الساعة الثالثة لمشاهدة الفيلم معها .

وهنا ظهرت علامات العجب البالغ على وجه محسن وأخـذ

يحملق فى أخيه من جديد فاحمر وجه مدحت خجـــلا وقال له محسن هامسا :

ـ وماذا تريد منى ؟

ـ أريدك أن تذهب بدلا منى وتعتذر لها بأننى لا يمكننى مقابلتها

فأجاب محسن متصنعا الابتسام والاتزان والتفكير :

ـ سوف أفعل ذلك لكونك أخى فقط . .

ثم قال بسخرية لاذعة وهو يتناول التذكرة منه :

ـ وأرجو الا تعود لمثل ذلك مستقبلا !!

ونهض مدحت لتوه وأخذ يحتضن اخاه بينما الاخر يبتسم له ابتسامه كلها خبث ودهاء ، ويفكر ان القدر قد أتاح له فرصة ثمينة للقاء سميرة ، وبأنه قادر بأسلوبه العذب المعسول ان يجعذبها اليه ويتخذها صديقة له .

وفى الموعد المحدد إرتدى محسن افخر مالديه من ثياب وبدا كالعريس ليلة زفافه ـ وذهب إلى سينما اوبر ـ وتصادف أن قابله عند دخوله احد اصدقائه فأخذ يروى له انه على ميعـاد مع

فتاة يفوق جمالها الوصف ثم انصرف لحاله ودخل السينما .

ورفع الستار واخـــذ محسن ينظر إلى الوافدين فردا فردا ويتلفت يمينا ويسارا ويتطلع إلى القـادمين فى الظلام كل ذلك والمقعد المجاور له خال فى انتظار سميره . .

ولما انتابه القلق والملل خرج من السينما لينتظر سميره على بابها واخذ يقطع الردهة ذهابا وايابا ـ ثم هم بالرجوع ثانيـا إلى مقعده فلاحظ عن بعد ان هناك شخصا يشغل المقعد المجاور له فاندفع إلى كرسيه تشيعه لعنات الجالسين الذين كـان يدوس على احذيتهم ثم جلس بمنتهى الاتزان . .

ولاحظ ان رجلا يجلس بجواره لم يتبينه فى الظلام . . . وفجأة اضيئت الانوار حيث كـانت الاستراحة ، فتطلـــع إلى الرجل الذى يجلس بجواره فوجده والده . . . ولم يتمالك دهشته وتراجع إلى الوراء وقد اتسعت حدقتاه ووقفت الكلمات على لسانه ، وهنا رفع والده عينيه فابصره . . فابتسم وقال :

ـ يبدو ان هذا الفيلم ممتاز والا مادعانى مدحت لمشاهدته . . لقد الح على لمشاهدة ذلك الفيلم الدينى . .

وقبع مدحت فى مقعدة ولم يتكلم كلمة واحدة حتى انتهى الفيلم وخرج محسن مع والده ، وعند باب السينما لمح جميع اصدقائه وكل فرد منهم ترتسم على شفتيه ابتسامة السخرية . . وتقدم منه احدهم هامسا . .

ـ تعيش وتاخد غيرها ! !

حب
الرمان

جلس سمير يلهو بحديقة منزله حتى انتابه الملل فدخل المنزل ليعود مرة أخرى إلى الحديقة وبيده رمانة . . وجلس إلى المائدة العتيقة الوحيدة الموجودة بالحديقة يحاول أن يكسر الرمانة بيده تاره واسنانه تاره اخرى . . ولكنه كان عاجز كل العجز عن ذلك لصغر سنه .

ونزل والداه إلى الحديقة يتنزهان فوجدا وحيدهما يحاول عبثا ان يكسر الرمانة ليأكل مابداخلها من حبات فاقترا منه وحاولا مساعدته ولكنه رفض بأباء وشمم .

وعادت والدته إلى المنزل واحضرت اناء ثم داعبت ابنها ولاطفته إلى أن قبل ان تكسر له الرمانة . . وماكادت

تفعل ذلك حتى اختطفها منها مصمما على ان يقوم بنفسه بانتزاع حباتها .

وقد كان والد سمير على درجة كبيرة من الحكمة . . فترك الصغير لشأنه ولكنه طلب منه قبل أن يتركه ان يحافظ على كل حبات الرمانة وأن يأكلها جميعها . . ووجد أن خير وسيلة تجعل ابنة يحافظ على كل الحبات أن يخبره أن احدى هذه الحبات لو اكلها الانسان لدخل الجنة -- وعليه ان يحافظ على كل حباتها ويأكلها جميعا حتى يدخل الجنة .

ولم يكن سمير يتجاوز الخامسة من عمره - فنظر إلى والده بدهشة بالغة ووعده بأنه سيحافظ على كل حبة من حبات الرمانة .. وسيأكلها جميعها حتى يدخل الجنة .

وجلس يفكر فى الجنة . . ماذا عساها تكون ؟ ه لم يكن يدرى شيئا عنها ، كما وانه لم يسبق له أن سمع بهذا الاسم ولكن رنة الاسم وروعته جعلته يصمم على المحافظة على كل حبة من حبات الرمانة ، حتى يدخل الجنة . .

وجلس ينتزع كل حبة من حبـــات الرمانة بحرص شديد بعد أن تركه والداه ويضعها فى الاناء الذى بجواره - ومضى عليه وقت غير قصير حتى انتهى من نزع حبات نصف الرمانة تقريبا ، واكل منها قليـلا ، ثم ذهب لمنزله لقضاء حاجة . .

وما كاد يعود حتى رأى دجاجة كانت قد إنطلقت من عشتها التى بالحديقة ، تلتقط بنهم شديد حبات رمانته التى وضعها فى الاناء ، فأسرع اليهـا يبعـدها فعادت إلى عشتها . .

وجلس الصغير يبكى ، واسرعت اليه امه ، التى سمعت بكاءه ، وحاولت ان تهدئه وان تمنعه من البـــكاء حتى احمرت عيناه . . فلقد اعتقد سمير ان الدجاجة قـد اكلت حبة الجنة .

واخيرا غلبه النعاس واتاه سلطـان النوم فنقلته والدته إلى فراشه . .

وبعد الظهيرة افاق من نومه ، فاصطحبته امه الى حديقة

بمصر الجديدة بها جميع انواع لعب الاطفال تدعى « جنة الاطفال » ، ودخلا سويا نظير اجر معلوم . . واخبرت الأم وحيدها ان هذه هى الجنة التى سيدخلها لكونه قد اكل حبة الجنة . .

وامضى سمير وقتا طيبا فى الحديقة مع اطفال فى مثل سنه وجعل يتنقل من لعبة لأخرى ، كل هذا والام منشرحة الصدر لسعادة ابنها ووحيدها . .

وعادت الام مع سمير إلى المنزل بعد أن امضيا وقتا طيبا .

وجلس الاب وزوجته وسمير لتناول طعام العشاء وجعلت الأم تقص على زوجها كل ماصادفها هى ونجلها . . وكيف انها امضيا وقتا طيبا « بجنة الاطفال » . .

ولكن الام والاب لاحظا ان سمير جلس الى المائدة شاردا ولم يقرب الطعام . .

لقد كان يفكر تفكيرا عميقا ويسأل نفسه . .

ـ ماذا كانت ستفعل الدجاجة لو أنها أكلت حبة الجنة ؟

ـ وماذا كانت ستفعل داخل الجنة ! !

# فهرس


١ — دعاء أم . . . . . ٧

٢ — كلام الناس . . . . . ٢٣

٣ — أبو العيـــال . . . . . ٣١

٤ — حى الأموات . . . . . ٣٩

٥ — الحشـاش . . . . . ٤٧

٦ — ليـلة ممطرة . . . . . ٥٥

٧ — الجمجمـة . . . . . ٦٣

٨ — حب بالمراسلة . . . . . ٧١

٩ — التوأمان . . . . . ٨١

١٠ — حب الرمان . . . . . ٩١

م
١٢

دار لوران
للطباعة والنشر
٤٩ شارع [illegible] ت : ٢١١٣٢

Library of

Princeton University.

Princeton University Library
32101 074493444
(NEC)
PJ7860
.A22
D8
1965